

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريقُ البُلشفيّة



بمناسبة الذكرى المأساوية الستين لاختيال الرفيق ستالين

سؤالين

بعضُ القضايا في تاريخ البُلشفيّة

رسالة إلى هيئة تحرير جريدة «الثورة العالميّة»

عدد 6، 1931

ترجمة

محمد علي العربي

نشر في النشر البُلشفي العربي

الفيروان، آذار 2013

المصدر المعتمد في الترجمة:

SOME QUESTIONS CONCERNING THE HISTORY OF BOLSHEVISM

Letter to the Editorial Board of the Magazine "Proletarskaya Revolutsia"

J. Stalin: Works, vol. 13, p. 86-104.

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

أيها الرفاق،

أحتج بقوة على إدراج مقال معاد للحزب وشبه تروتسكي كتبه سلوتسكي تحت عنوان: «البلاشفة والاشتراكية الديمقراطية الألمانية في مرحلة أزمتها السابقة عن الحرب» في مجلة الثورة العالمية (عدد 6، 1930) قصد النقاش.

يزعم سلوتسكي أن لينين (والبلاشفة) كان ينتقص من أهمية خطر الوسطية في الاشتراكية الديمقراطية قبل الحرب؛ أي كان ينتقص من أهمية خطر الانتهازية المتتعة، من خطر مساومة الانتهازية. بعبارات أخرى، ينجح، حسب سلوتسكي، أن لينين (والبلاشفة) لم يخض نضالا حازما ضد الانتهازية، بما أن الانتقاص من أهمية الوسطية إنما هو بالأساس التخلي عن تطوير النضال ضد الانتهازية. وهكذا ينجح أن لينين لم يكن بعدُ بلشفيًا حقيقيًا في المرحلة السابقة عن الحرب؛ وأنه لم يصبح بلشفيًا حقيقيًا إلا أثناء الحرب الإمبريالية أو حتى بفضلها. هكذا تحدث سلوتسكي في مقاله. وأتم عوض أن تفضحوا هذا «المؤرخ» المستجد المتحمس على أنه مفترى ومغالط تنخرطون في مناقشته وتمنحونه منبراً. لا أستطيع عدم الاحتجاج على إدراج مقال ستولسكي في مجلتكم قصد النقاش. فلا يمكننا أن نقيم نقاشاً في بلشفيّة لينين، في ما إذا كان لينين يخوض نضالاً مبدئياً وحازماً ضد الوسطية كضرب من ضروب الانتهازية أم لا، في ما إذا كان لينين بلشفيًا حقيقيًا أم لا.

لقد اعترفتم في «ملاحظة هيئة التحرير»، التي بعثتم بها إلى اللجنة المركزية يوم 20 تشرين الأول، بأن هيئة التحرير كانت قد ارتكبت خطأً بإدراجها مقال سلوتسكي قصد النقاش. وهذا جيد طبعاً، رغم أن ملاحظة هيئة التحرير جاءت متأخرة جداً.

لكنتم ترتكبون خطأ جديدا في تلك الملاحظة عندما أعلنتم فيها أنّ «هيئة التحرير تعتبر دراسة كامل دورة المسائل المتصلة بعلاقة البلاشفة بالأممية الثانية قبل الحرب، درساً لاحقاً في أعمدة مجلّة الثورة العمالية، أمراً في أقصى الإلحاح والضرورة».

إنّ ذلك يعني أنّكم تنوون دفع الناس من جديد في مناقشة مسائل كانت قد أصبحت بمثابة مبادئ البلشفية. إنّ ذلك يعني أنّكم تريدون من جديد تحويل بلشفية لينين البديهيّة إلى قضية تستوجب «مزيداً من الدراسة».

لماذا؟ ما سبب ذلك؟ فالجميع يعلم أنّ البلشفية كانت قد نشأت وترعرعت واشتدّ عودها خلال نضال لا رحمة ضدّ كلّ ضروب الانتهازية بما فيها وسطية الغرب (كاوتسكي) والوسطية عندنا (تروتسكي والآخرين). ولا يمكن أن ينفي ذلك حتّى أعداء البلشفية المباشرين. فذلك مبدأ. لكنكم ترجعون بنا التهقري، وتحاولون تحويل هذا المبدأ إلى مشكل يجب أن يكون موضوع «دراسة لاحقة». لماذا؟ ما سبب ذلك؟ هل كان ذلك بسبب جهل بتاريخ البلشفية؟ لربّما كان ذلك ليبرالية متعمّنة ترمي إلى أن لا يستطيع سلوتسكي وأنصار تروتسكي الآخرين القول بأنّ أفواههم أغلقت؟

كان ذلك ليبرالية على غاية من الغرابة على حساب المصالح الحيويّة للبلشفية...

ما الذي تعتبره هيئة التحرير جديراً بالتقاش على نحو خاص في مقال سلوتسكي؟

1. يزعم سلوتسكي أنّ لينين (البلاشفة) لم يتجه نحو القطع مع انتهازي الأممية الثانية والانشقاق عنهم قبل الحرب. تريدون مناقشة هذه الأطروحة التروتسكية عند سلوتسكي: لكن هل فيها ما يمكن أن يناقش؟ أليس واضحاً أنّ سلوتسكي يكذب على لينين وعلى البلاشفة؟ الكذب يجب أن نشجبه لا أن نجعل منه موضوعاً للتقاش.

يعلم كلُّ بلشفي، إذا كان حقًا بلشفيًا، أنّ لينين كان حتّى قبل الحرب، منذ حوالي 1903-1904، عندما تصلّبت المجموعة البلشفيّة في روسيا، ولمّا ظهر اليساريّون داخل الاشتراكية الديمقراطيّة الألمانيّة لأول مرّة، قد اتّجه نحو القطع مع الاتّهازيّين عندنا داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي التروسي وهناك داخل الأميّة الثانية وخاصّة الاشتراكية الديمقراطيّة الألمانيّة والانشقاق عنهم. ويعلم كلُّ بلشفي أنّه لهذا السبب على وجه التّحديد كان البلاشفة قد اكتسبوا في تلك المرحلة (1903-1904) العنوان المجدد: «دعاة الانشقاق» و«رافضو التّنظّم». لكن ما كان للينين أن يفعل وماذا كان للبلاشفة أن يفعلوا إذا كان الاشتراكيّون الديمقراطيّون اليساريّون في الأميّة الثانية وفي الاشتراكية الديمقراطيّة الألمانيّة يمثّلون مجموعة صغيرة واهنة وعديمة الشّكل من جهة التّنظيم، مجموعة ضعيفة الانصهار الإيديولوجي وتخشى حتّى أن تنطق بكلمتي «القطيعة» و«الانشقاق»؟ فلا يمكننا أن نطالب لينين بأن يقوم بتنظيم الانشقاق في أحزاب الغرب وهو في روسيا، دون أن نأخذ في الحسبان أنّ الضعف التّنظيمي والإيديولوجي كان السّمة المميّزة للاشتراكيّين الديمقراطيّين اليساريّين، ولم يقتصر ذلك على المرحلة السّابقة عن الحرب، فقد حافظ اليساريّون، كما نعلم، على هذه السّمة السّلبية بعد الحرب.

الجميع يعلم كيف قيم لينين الاشتراكيّين الديمقراطيّين اليساريّين في مقاله المعروف جيّدًا: «في كراس جونوس» (جونوس: روزا ليكسمبورغ زعيمة الاشتراكيّين الديمقراطيّين اليساريّين في الاشتراكية الديمقراطيّة الألمانيّة) الذي كتبه في تشرين الأوّل 1916، أي بعد أكثر من سنتين على نشوب الحرب، حيث تحدّث لينين، عند نقده جملة كاملة من الأخطاء السّياسيّة الخطيرة جدًّا عند الاشتراكيّين الديمقراطيّين اليساريّين في ألمانيا، عن «ضعف جميع اليساريّين الألمان الذين أطبقت عليهم من جميع التّواحي شبكة التّفاق الكاوتسكيّة والحذقة و«صداقة» الاتّهازيّين»، حيث قال بأنّ «جونوس لم يتخلّص تمامًا من «محيط» الاشتراكيّين

الديمقراطيين الألمان وحتى محيط اليساريين الذين يخشون الانشقاق، ويخشون الإعلان عن الشعارات الثورية إلى النهاية».

لقد كان البلاشفة الروس المجموعة الوحيدة داخل الأمية الثانية التي كانت وقتئذ قادرة، بما تملكه من تجربة تنظيمية وصلابة إيديولوجية، على إحداث أمر جدي في اتجاه قطيعة مباشرة، انشقاق عن انتهازيهم داخل الاشتراكية الديمقراطية الروسية. فلو كان لأشخاص من رهط سلوتسكي لا محاولة البرهنة، بل مجرد افتراض أن لينين والبلاشفة الروس لم يستخدموا كل قوتهم لتنظيم الانشقاق عن الانتهازيين (بليخانوف، مارتوف، دان) ومطاردة الوسطيين (تروتسكي وأنصار تكتل آب الآخرين)، لأمكن حينئذ مناقشة بلشفية لينين وبلشفية البلاشفة. لكن أشخاصا من رهط سلوسكي لا يجرؤون على التمس بينت شفة في صالح افتراض ساذج.

لكن إليكم السؤال المطروح: هل كان بإمكان البلاشفة الروس أن يحققوا الانشقاق عما عندهم من انتهازيين ووسطيين-مسالمين قبل حرب الإمبريالية (1904-1912)، دون أن يتجهوا في ذات الوقت إلى القطيعة مع انتهازي ووسطي الأمية الثانية والانشقاق عنهم؟ من يشك في أن البلاشفة الروس كانوا يعتبرون سياستهم نحو الانتهازيين والوسطيين بمثابة نموذج سياسي يصلح لليساريين في الغرب؟ من يشك في أن البلاشفة الروس كانوا يدفعون، بكل الوسائل، الاشتراكيين الديمقراطيين اليساريين في الغرب، وبالأخص يساري الاشتراكية الديمقراطية الألمانية، إلى القطع مع انتهازيهم ووسطيهم والانشقاق عنهم؟ فلا يعود الخطأ إلى لينين والبلاشفة الروس أن لم يبلغ الاشتراكيون الديمقراطيون اليساريون في الغرب درجة كافية من التضحية حتى يسيروا على خطى البلاشفة الروس.

2. يلوم سلوتسكي لينين والبلاشفة على كونهم لم يساندوا يساري الاشتراكية الديمقراطية الألمانية مساندة حازمة لا رجعة فيها؛ وعلى كونهم لم يساندوهم إلا بتحفظات جدية؛ وعلى كون الاعتبارات الانقسامية كانت قد منعت البلاشفة من

مساندة يساري ألمانيا مساندة كاملة. فهل تريدون الانخراط في مناقشة هذا اللوم المخادع وجلي التفاق، ولكن ما الذي يمكننا أن نناقشه على وجه التحديد هنا؟ أليس جليًا هنا أن سلوتسكي يقوم بمناورة ويسعى، من خلال لوم منافق ضد لينين والبلاشفة، إلى الدفاع عن الأخطاء في موقف اليساريين في ألمانيا؟ أليس جليًا أنه لم يكن بإمكان البلاشفة أن يساندوا اليساريين في ألمانيا الذي كانوا يراوون بين البلشفية والمنشقية دون تحفظ جدي، وقد جدي لأخطائهم، إلا إذا خانوا الطبقة العاملة وثورتها؟ المناورات الدنيئة يجب شجبها، لا أن نجعل منها موضوع نقاش.

نعم، لم يساند البلاشفة الاشتراكيين الديمقراطيّين في ألمانيا إلا بتحفظات جدية من خلال نقد أخطائهم شبه المنشقية. لكن يجب أن نحیی البلاشفة على ذلك، لا أن نلومهم.

فهل هنالك من يشكّ في ذلك؟

لننظر في أكثر أحداث التاريخ وضوحا.

أ) في عام 1903 نشأت خلافات جدية بين البلاشفة والمناشفة في روسيا في قضية الانتماء إلى الحزب. لقد أراد البلاشفة، من خلال صيغتهم عن الانتماء إلى الحزب، أن يضعوا حدًا، في حقل التنظيم، لتدقق العناصر غير العاملة على الحزب. لقد كان خطر مثل ذلك التدقق فعليًا بسبب طابع الثورة الروسية الديمقراطي البرجوازي. أما المناشفة الروس فقد دافعوا عن موقف معارض يفتح باب الحزب على مصراعيه أمام العناصر غير العاملة. ونظرًا لما كان لقضايا الثورة الروسية من أهمية بالنسبة للحركة الثورية العاملة، قرر الاشتراكيون الديمقراطيون في أوروبا الغربية أن يدلوا بدلوهم. وفي ألمانيا دلى الاشتراكيون الديمقراطيون اليساريون، وقد كان بارفوس وروزا لوكسمبورغ زعيما اليساريين، بدلوهم أيضا. فما كان الأمر؟ كلاهما عارضا البلاشفة. وارتفعت تهمة المركزية القصوى والتزوع البلنكي في وجه البلاشفة. وفيما بعد استعاد المناشفة تلك التهم المجاتية وانتشرت في أرجاء العالم.

ب) في عام 1905 نشأت خلافات بين البلاشفة والمناشفة في روسيا في قضية طابع الثورة الروسية. كان البلاشفة يدافعون عن فكرة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين من خلال هيمنة الطبقة العاملة. كان البلاشفة يؤكدون على وجوب أن تسير الأمور في اتجاه دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية حتى تنتقل مباشرة من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة الاشتراكية من خلال ضمان سند الفلاحين الفقراء. أما المناشفة الروس فقد عارضوا فكرة هيمنة الطبقة العاملة على الثورة الديمقراطية البرجوازية؛ وعض سياسة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين فضلوا سياسة الاتفاق مع البرجوازية الليبرالية، وأما دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية فقد رسموا لها مخططا بلانكيًا رجعيًا يناقض تطور الثورة البرجوازية. فما كان موقف يسار الاشتراكية الديمقراطية الألمانية وبارفوس وروزا لوكسمبورغ من هذا النقاش؟ لقد وضع مخططا خياليًا وشبه منسفي للثورة الدائمة (صورة مشوهة لخطة ماركس عن الثورة) موسوم تماما بالثقي المنسفي لسياسة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين معارضين به خطة البلاشفة عن دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية. وفيما بعد، استعاد تروتسكي (وجزاء منه قام به مارتوف) ذلك المخطط شبه المنسفي عن الثورة الدائمة وأصبح أداة لمحاربة اللينينية.

ت) في الفترة السابقة للحرب، برزت القضية القومية والاستعمارية على السطح كواحدة من أحو القضايا عند أحزاب الأمية الثانية؛ قضية الأمم المضطهدة والمستعمرات، قضية نحررها، قضية الوسائل التي تمكن من محاربة الإمبريالية وإسقاطها. وقصد تطوير الثورة العاملة وتطوير الإمبريالية، عرض البلاشفة سياسة مساندة الحركة التحريرية في الأمم المضطهدة والمستعمرات على أساس حق الأمم في تقرير مصيرها؛ لقد طوروا صورة جبهة وحيدة تجمع الثورة العاملة في البلدان المتقدمة بحركة التحرر الثورية عند شعوب المستعمرات والبلدان المضطهدة. ولم يتردد انتهازو جميع البلدان؛ الاشتراكيون الشوفينتون والاشتراكيون الإمبرياليون

في جميع البلدان، في معارضة البلاشفة: لقد انقَضوا على البلاشفة كالكلاب المسعورة. فما كان موقف الاشتراكيين الديمقراطيّين اليساريّين في الغرب وقتئذٍ؟ لقد طوّروا نظريّة شبه منشقيّة عن الإمبرياليّة؛ لقد تخلّوا عن مبدأ حقّ الأمم في تقرير مصيرها بمفهومه الماركسي (بما فيه من حقّ الانفصال وتأليف دول مستقلة)، وتركوا جانبا الأطروحة التي تقول بما حركة تحرّر المستعمرات والبلدان المضطّهة من أهميّة ثوريّة جدّية، وتركوا جانبا الأطروحة التي تقول بإمكانية قيام جبهة وحيدة تجمع الثورة العماليّة بحركة التحرّر الوطني. لقد عارضوا لوحة البلاشفة الماركسيّة بكامل هذه الخلطة شبه المنشقيّة بقضّها وقضيضها والتي كانت انتقاص من أهميّة القضية القوميّة والاستعماريّة. ونعلم أنّ هذه الخلطة شبه المنشقيّة كان قد استعادها تروتسكي فيما بعد واستخدمها كأداة في الصراع ضدّ اللينينيّة.

تلك هي الأخطاء التي ارتكباها الاشتراكيون الديمقراطيّون اليساريّون في ألمانيا والجميع يعلمها. ولن أتحدّث عمّا ارتكبه اليساريون الألمان من أخطاء أخرى كان لينين قد نقدها بعمق في مقالات أخرى. كما لن أتحدّث عمّا ارتكبه من أخطاء في تقديرهم لسياسة البلاشفة في فترة ثورة أكتوبر.

فعلى ماذا تدلّ هذه الأخطاء عند اليساريّين الألمان إن لم تكن تدلّ على أنّ الاشتراكيين الديمقراطيّين اليساريّين لم يتخلّصوا بعد من زاهم المنشفي رغم نزعهم اليساريّة؟

الأمر الثابت هو أنّ اليساريّين الألمان لم يقتصرُوا على ارتكاب أخطاء جدّية، وأنّ في رصيدهم أعمالا ثوريّة عظيمة وجدّية عديدة. وأعني بذلك فضائلهم العديدة وتحركاتهم الثوريّة في قضايا السياسة الداخليّة وبالأخصّ التّصال الانتخابي وقضايا التّصال البرلماني والإضراب العام والحرب وثورة 1905 في روسيا، إلخ. ولهذا السّبب على وجه التّحديد كان البلاشفة يعتبرونهم يساريّين، وساندوهم، ويدفعونهم إلى الأمام. لكنّ ذلك لا يكذب، ولا يمكن أن يكذب، حقيقة أنّه للاشتراكيين

الديمقراطيين اليساريين في ألمانيا، في ذات الوقت، جملة كاملة من الأخطاء السياسية والنظرية الجديدة؛ أنهم لم يتخلصوا بعد من العبء المنشفي، وأنه بالتالي يجب على البلاشفة أن ينقدوهم بجديّة.

ولتحكموا بأنفسكم الآن إن كان على لينين والبلاشفة أن يدافعوا على الاشتراكيين اليساريين في الغرب دون تحفظات جدية ودون نقد أخطائهم نقداً جدياً فيخونوا على ذلك التحويصات الطبقة العمالية ويخونوا مصالح الثورة ويخونوا الشيوعية.

أليس واضحاً أنّ سلوتسكي عندما يتهم لينين والبلاشفة عوض أن يحميهم لما قاموا به، لو كان بلشفياً، إنّما ينكشف تماماً كشيء منشفي، كروتسكي مقنع؟

يضع سلوتسكي افتراضاً مفاده أنّ لينين والبلاشفة قد انطلقوا في حكمهم على اليساريين في الغرب من اعتبارات انقسامية؛ وأنّ البلاشفة الروس يستغلون قضية الثورة العالمية العظيمة لمصلحة فرقهم. إنّ بالكاد نحتاج إلى البرهنة على أن ليس هنالك ما هو أكثر سطحيّة وقذارة من هذا الافتراض.

ما من شيء أكثر سطحيّة من ذلك؛ حتّى أكثر المناشفة ابتداءً بدأوا يفهمون أن الثورة الروسية ليست قضية خاصّة بالروس وإنّما هي، عكس ذلك، قضية الطبقة العمالية في العالم أجمع؛ قضية الثورة العالمية العمالية. وما من شيء في ذلك أكثر دناءة، حتّى الكذّابون المحترفون في الأممية الثانية بدأوا يفهمون أنّ ما للبلاشفة من أممية ثورية منسجمة إنّما هي نموذج الأممية العمالية بالنسبة لعمال العالم.

نعم، لقد وضع البلاشفة الروس القضايا الأساسية في الثورة في موضع الصدارة؛ من ذلك قضية الحزب، وموقف الماركسيين من الثورة الديمقراطية البرجوازية، وتحاف العمال والفلاحين، وهيمنة الطبقة العمالية، والنضال في البرلمان وخارجه، والاضراب العام، وتحويل الثورة الديمقراطية البرجوازية ثورة اشتراكية، ودكتاتورية الطبقة العمالية، والإمبريالية، وحق الأمم في تقرير مصيرها، وحركة التحرر في الأمم المضطّدة والمستعمرات، وسياسة مساندة هذه الحركة، الخ. لقد وضع البلاشفة

الروس هذه القضايا كحجر الزاوية فكأنهم ذلك من التحقق من الصلابة الثورية عند الاشتراكيين الديمقراطيين اليساريين في الغرب. هل كان يحق لهم ذلك؟ لا شك في ذلك.

لم يكن لهم الحق فحسب، بل كان من واجبهم أن يتحركوا على ذلك النحو. لقد كان من واجبهم أن يتحركوا على ذلك النحو؛ لقد كانت، في ذات الوقت، كل تلك القضايا قضايا أساسية في الثورة العالمية، وكان البلاشفة يخضعون سياستهم وتأكيدهم لمهمات هذه الثورة. لقد كان من واجبهم أن يتحركوا على ذلك النحو؛ فلا يمكن التحقق فعلا من الروح الثورية عند إحدى مجموعات الأيمية الثانية إلا على أساس تلك القضايا. ولسائل أن يسأل إن كان للبلاشفة الروس في ذلك نزعة «انقسامية»، وهل من مكان هنا للاعتبارات «الانقسامية»؟

لقد كان لينين قد كتب منذ 1902 في كتابه «ما العمل؟»:

«يوكل إلينا التاريخ الآن مهمة هي الأكثر ثورية من جميع مهمات الطبقة العاملة الملحة في أي بلد آخر.»

وأن

«إنّ انجاز هذه المهمة وتدمير أقوى حصن لا للرجعية الأوروبية فحسب، بل للرجعية الآسيوية أيضا، سيجعل من الطبقة العاملة الروسية طبقة الطبقة العاملة العالمية.»

لقد مضت ثلاثون سنة على نشر كتاب «ما العمل؟». وما من أحد يجراً على فني أن تكون أحداث تلك الفترة قد أكدت على نحو واضح كلمات لينين. لكن ألا ينبج عن ذلك أنّ الثورة الروسية كانت (ولا تزال) النقطة المركزية في الثورة العالمية؛ وأنّ القضايا الأساسية في الثورة الروسية كانت (وهي اليوم)، في ذات الوقت، قضايا الثورة العالمية؟

أليس من الواضح أنه لا يمكننا أن نتحقق فعلا من من الروح الثورية عند الاشتراكيين الديمقراطيين اليساريين في الغرب إلا على أساس تلك القضايا الأساسية؟

3. يزعم سلوتسكي أنه لم يتسنى الحصول على الكمية الكافية من الوثائق الرسمية التي تشهد على التضال المصمم والذي لا هوادة فيه عند لينين (والبلاشفة) ضد الوسطية. إنه يعتمد على هذه الأطروحة البيروقراطية كما لو أنه اعتمد على حجة دامغة لصالح التأكيد الذي يفيد بأن لينين (والبلاشفة) كان ينتقص، بالتالي، من خطر الوسطية داخل الأممية الثانية. أتم تأخذون على عاتقكم مناقشة هذا الهراء. لكن ما الذي يمكن أن يناقش فيه على وجه التحديد؟ أليس كافيا أن يكون سلوتسكي، بتحدثه عن وثائق، يسعى إلى إخفاء ما في أرضيته المزعومة من فقر وضعف؟

يعتقد سلوتسكي أن ما هو متوقّر من وثائق الحزب غير كاف. لماذا؟ ما سبب ذلك؟

ألا تكفي الوثائق المتعلقة بالأممية الثانية التي يعرفها الجميع، وكذلك تلك المتعلقة بالصراع داخل الاشتراكية الديمقراطية الروسية، حتى تبين بكمال الوضوح نضال لينين والبلاشفة ضد الانتهازيين والوسطيين؟ وهل كان يعلم سلوتسكي بتلك الوثائق حقًا؟ وما الوثائق الأخرى التي يطلبها؟

لنفترض أننا اكتشفنا، إلى جانب الوثائق المعروفة، مجموعة من الوثائق أخرى، مثلا في هيئة قرارات بلشفية تناول مرة أخرى ضرورة تصفية الوسطية. فهل يكفي وجود تلك الوثائق الورقية لوحده لنثبت ما للبلاشفة من روح ثورية حقيقية وصارمة نحو الوسطية؟ ومن يمكن أن يثق في الوثائق وحدها غير البيروقراطيين الذين لا أمل في شفائهم. ومن يمكن أن لا يفهم أنه يجب التحقق من الأحزاب والزعماء من خلال نشاطهم أولا، لا فقط وفق بياناتهم غير فئران الأرشيف؟

لقد شهد التاريخ عديد الاشتراكيين الذين كانوا يمضوا على أي قرار ثوري حتى يتخلصوا من التقدير غير المناسب.

لكن ذلك لا يعني بعد أنهم قد طبقوا تلك القرارات. فقد شهد التاريخ، من جملة أمور أخرى، عديد الاشتراكيين يطالبون، وأفواههم مزبدة، الأحزاب العمالية في البلدان الأخرى بأكثر الأعمال ثورية. لكن ذلك لا يعني بعد أنهم لم يكونوا قد تفسخوا في أحزابهم أو في بلدانهم أمام انتهازيهم؛ أمام برجوازيهم. ليس لهذا السبب قد علمنا لينين أن تتحقق من الأحزاب الثورية والتيارات والزعماء لا من خلال بياناتهم وقراراتهم بل من خلال أعمالهم؟

أليس من الواضح لو أن سلوتسكي كان يريد فعلا أن يتحقق من تصميم لينين والبلاشفة في الموقف من الوسطية لكان قد ارتكز في مقاله لا على وثائق منعزلة واثنان أو ثلاث رسائل شخصية، بل على التحقق من البلاشفة من خلال أعمالهم، من خلال تاريخهم، من خلال أنشطتهم؟ ألم يكن عندنا في الاشتراكية الديمقراطية الروسية انتهازيون ووسطيون؟ ألم يخض البلاشفة نضالا حازما ومصمما ضد كل هذه التيارات؟ ألم تكن هذه التيارات مرتبطة في مجال الفكري والتنظيمي بما في الغرب من انتهازيين ووسطيين؟ ألم يحطم البلاشفة الانتهازيين والوسطيين وهو أمر لم تقم به أية مجموعة يسارية في العالم؟ كيف يمكن أن تقول بعد كل هذا أن لينين والبلاشفة قد انتصوا من خطر الوسطية؟ لماذا أخفى سلوتسكي هذه الوقائع التي لها أهمية فاصلة في طبيعة البلاشفة؟ لماذا لم يتبع طريقة التحقق من لينين والبلاشفة من خلال أنشطتهم؟ لماذا فضل هذه الطريقة الأقل وثوقا التي تعتمد التفتيش في أوراق منتقاة بالصدفة؟

لأن اعتماد الطريقة الأكثر وثوقا التي تتحقق من البلاشفة من خلال أعمالهم كانت ستقلب فورا كامل أرضية سلوتسكي.

لأنّ التّحقّق من البلاشفة من خلال أعمالهم كانت سبباً أنّ البلاشفة كانوا المنظّمة الثّوريّة الوحيدة في العالم التي حطّمت الانتهازيين والوسطيين بالكامل وأطرتهم من الحزب.

لأنّ ذكر الأحداث الفعلية في تاريخ البلاشفة الفعلي كان سيبيّن أن أسياذ سلوتسكي التروتسكيين قد كانوا يؤلّفون المجموعة الرئيسيّة والأساسيّة التي غرست الوسطيّة في روسيا، وأنّ تلك المجموعة كانت قد ألّفت، لذلك الغرض، منظّمة خاصّة، ملجأ للوسطيّة في هيئة «حلف آب».

لأنّ التّحقّق من البلاشفة من خلال أعمالهم كان سينزع عن سلوتسكي القناع نهائيّاً لينكشف كمفرك لتاريخ حزبنا، مفرك يسعى إلى اخفاء وسطيّة التروتسكية قبل الحرب باتّهام لينين والبلاشفة باطلاً بأنّهم كانوا قد انتقصوا من خطر الوسطيّة. ذلك ما في أمر الرّفاق المحرّرين وسلوتسكي ومقاله.

أتمّ ترون أن هيئة التحرير قد ارتكبت خطأ عندما قبلت نقاشاً مع مفرك لتاريخ حزبنا.

ما الذي دفع هيئة التحرير إلى هذا الطّريق الخاطئ؟

أعتقد أنّ ما دفع بها إلى هذا الطّريق هو ليبراليتها المتعفّنة، تلك الليبرالية التي انتشرت الآن، بقدر معين، بين قسم من البلاشفة. إذ يعتقد بعض البلاشفة أنّ التروتسكية فرقة شيوعيّة، صحيح أنّها تخطئ وتقرّف عدداً لا بأس به من الحماقات وحتىّ بعضها معاد للسوفييتات، لكنّها رغم ذلك فرقة شيوعيّة. ومن هنا قام ضرب من الليبرالية نحو التروتسكيين والأشخاص ذوي الفكر التروتسكي. وإتّه بالكاد نحتاج إلى البرهان على أنّ مثل تلك النظرة نحو التروتسكية إنّما هي على خطأ عميق ومضّر. والحقيقة أنّ التروتسكية كانت قد كفّت عن أن تكون فرقة شيوعيّة منذ زمن بعيد. في الواقع، التروتسكية هي فصيل طلائعي للبرجوازيّة المضادّة للثورة

يخوض صراعا ضد الشيوعية، ضد سلطة السوفييتات، ضد بناء الاشتراكية في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية.

من الذي قدّم للبرجوازية المضادة للثورة سلاحا فكريا ضد البلشفية، في هيئة أطروحات عن استحالة بناء الاشتراكية التامة في بلدنا، وعن حتمية تفسخ البلاشفة، الخ؟ لقد قدمت لها التروتسكية ذلك السلاح.

لا يمكننا أن نعتبر أنه من باب الصدفة واقع أن جميع المجموعات المعادية للسوفييتات في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، ومحاولاتها تبرير حتمية الصراع ضد السلطة السوفييتية، قد استرشدت بالأطروحة التروتسكية المعروفة جيدا التي تفيد باستحالة بناء الاشتراكية التامة في بلدنا، وبحتمية تفسخ سلطة السوفييتات، واحتمال إعادة الرأسالية.

من قدّم للبرجوازية المضادة للثورة في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية سلاحا تكتيكيا قوامه نشاطات مكشوفة ضد سلطة السوفييتات؟

لقد قدّمه لها التروتسكيون عندما حاولوا تنظيم مظاهرات معادية للسوفييتات في موسكو ولينينغراد يوم 7 تشرين الثاني 1927. وإنه لواقع أن تكون مظاهرات التروتسكيين المعادية للسوفييتات قد مكنت البرجوازية من استجماع شجاعها وأن ينطلق الاختصاصيون البرجوازيون في التخريب.

من قدّم للبرجوازية المعادية للثورة سلاحا تنظيميا في هيئة محاولة تأليف منظمات سرية معادية للسوفييتات؟ لقد قدّم لها التروتسكيون ذلك السلاح عندما نظّموا مجموعتهم السرية المعادية للبلشفية. وإنه لواقع أن نشاط التروتسكيين السري المعادي للسوفييتات قد سهّل الانصهار التنظيمي للمجموعات المعادية للسوفييتات في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية.

إنّ التروتسكية هي فصيل طلائعي للبرجوازية المضادة للثورة.

لهذا السبب فإنّ النظرة الليبرالية نحو التروتسكية، حتّى وإن كانت متحطّمة ومتخفّية، إنّما هي غباء ينطوي على جرم، على خيانة الطبقة العماليّة.

ولهذا السبب فإنّ محاولات بعض «الأدباء» و«المؤرّخين» تمرير القذارة التروتسكية المتخفّية في أدبنا يجب أن يواجهها البلاشفة برّد قويّ.

لهذا السبب لا يمكننا أن نسمح بنقاش أدبي مع عصابة التروتسكيين.

يبدو لي أنّ «المؤرّخين» و«الأدباء» من طراز العصابة التروتسكية ينخرطون في عملهم اللّصّوصي، في الوقت الرّاهن، في اتّجاهين اثنين:

أولاً. ينخرطون في تبيّن أنّ لينين في فترة السّابقة عن الحرب كان ينتقص من خطر الوسطيّة، ويتركّون القارئ المبتدئ ليستنتج أنّ لينين لم يكن وقتئذ ثوريّاً حقيقيّاً وأنّه لم يكن له أن يصبح كذلك إلّا بعد الحرب بعد أن «تسلّح» بسند تروتسكي. إنّ سلوتسكي هو ممثّل أ نموذجي لذلك الطراز من العصابات. ولقد بيّنا أعلاه كيف لا يجب لا يستحقّ سلوتسكي وشركاؤه أن نضيع وقتنا معهم.

ثانياً. ينخرطون في تبيّن أنّ لينين في الفترة السّابقة عن الحرب لم يكن يفهم ضرورة تحويل الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة ثورة اشتراكية، ويتركّون القارئ المبتدئ ليستنتج أنّ لينين لم يكن وقتئذ بلشفيّاً حقيقيّاً. وأنّه لم يكن له أن يفهم ضرورة ذلك التحوّل إلّا بعد الحرب بعد أن «تسلّح» بسند تروتسكي. إنّ فولوسيفيتش، مؤلّف «دروس في تاريخ الحزب الشّيعي (البلشفي) في اتّحاد الجمهوريات السّوفييتيّة الاشتراكية» هو ممثّل أ نموذجي لذلك الطراز من العصابات.

وفي الواقع كان لينين قد كتب منذ 1905:

﴿إذ قامت الثّورة الديمقراطيّة البرجوازيّة، تتقدّم فوراً في طريق الثّورة الاشتراكية بقدر قوانا الدّقيق، بقدر قوى الطبقة العماليّة الواعيّة والمنظّمة. نحن مع الثّورة المتواصلة. نحن لا نقف في منتصف الطّريق.﴾

والواقع أنه يمكننا أن نجد في كتابات لينين عديد الوقائع والوثائق من هذا القبيل. لكن أرهاطاً من قبيل فولوسيفيتش لا يفحصون وقائع من حياة لينين ونشاطه. إنهم يكتبون حتى يمرّوا، بعد أن يلتحفوا بلحاف البلشفية، عصابتهم المعادية للينينية ويهاجموا البلاشفة ويفرّكوا تاريخ الحزب البلشفي.

وكما ترون فإنّ أرهاط فولوسيفيتش يعادلون أرهاط سلوتسكي.

ذلك هو «اللفّ والتوران» عند العصاة التروتسكية.

وأتمّ تفهوماً بأنفسكم كيف لا يجب على هيئة التحرير أن تسهّل نشاط هذه العصاة من «المؤرخين» بأن تضع على ذمتها منبرا للتقاش.

تكن مهمة هيئة التحرير، حسب اعتقادي، في الارتقاء بقضايا البلشفية إلى المستوى المطلوب، وفي توجيه دراسة تاريخ حزبنا إلى وجهة علمية، بلشفية، وفي أن توجه الانتباه إلى المفكرين التروتسكيين وغيرهم لتاريخ حزبنا، وذلك بأن تنزع عنهم القناع بانتظام.

إنّ ذلك لهو من أكبر الصّوريات حتى بعض مؤرخينا، - وأحدت هنا عن مؤرخين دون معقّفين؛ مؤرخين بلاشفة من حزبنا - ليسوا معصومين من الأخطاء التي تزيد، طينة أرهاط سلوتسكي و فولوسيفيتش بلة. وللأسف لا نستثني هنا الرفيق إياروسلافسكي في كتبه في تاريخ حزبنا.

تحياتي الشيوعية

نشر النشر البلشفي العربي